

دمية القصر

القسم الأول .

في طبقات شعراء البدو والحجاز .

أقول في هذه الطبقة : إن أحسن أبيات الأشعار ما طلعت من أبيات الأشعار ورعت مع الطّباء الشيخ وتزوّدت مع الصّياح الريح مستغنية بحسنها عن التصنّع والتعمّس ل حلوة إذا ذاقها الناظر بحسن التأمّل مصقولة العُرُقوب بلا تجشّم لمؤونة الحامّام مجدوة الثغور بلا منّة لفروع البشام . وكذلك قال المتنبي :

حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ ... وفي البداوة حُسْنٌ غيرٌ مجلوبٍ .

وقد وقع لي من أشعار هذه الطبقة ما هو أعذب من الزّلال وأرقّ من الشّمول صُفّقت بالشّمال . وأنا مبتدئٌ منها بما أنشدني الشيخ الإمام أبو عامر بن الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني للأمير أبي الفتوح زعيم مكّة حرسها الله تعالى :

وصلتني الهمومُ وصلّ هواكِ ... وجفاني الرُّقاد مثل جفاكِ .

وحكي لي الرسول أنك غَضّبي ... يا كفى الله شرّاً ما هو حاكٍ .

فهذا كلامٌ عليه أمانة الإمارة وله ملاحه البداوة ورشاقة الحضارة . ولا أشكّ أن لهذين الزوجين أخواتٍ تجري مجراهما غير أن الرواة لم تتداولها فتسري مسراهما . وأنا بعون الله وحسن تيسيره من وراء طلبها حتّى أهدّي إلى الكتاب الذي نُصّب لها ضرباً من ضربها إن شاء الله تعالى .

الأمير أبو المنيع قرّواش بن المقلّد .

أمير العرب المقدّم وفحلها المقرّم . أنشدني أبو الفضل يحيى بن نصر السعدي البغدادي قال : أنشدني لنفسه :

إنّ درّ النّائبات فإنها ... صدأ اللّئام ومّقل الأحرار .

ما كنت إلا زُبّرةً فطبعني ... سيفاً وأطلق صرْفُهْن غراري .

وأنشدني أبو محمد عبد الله بن محمد الحمداني الخرافي قال : أنشدني أبو المكارم الفضل

بن عبد الله الهاشمي قال : أنشدني لنفسه :

من كان يحمّد أو يذمّ مورّثاً ... للمال من آبائه وجدوده .

إني امرؤٌ أشكرٌ وحده ... شكراً كبيراً جالباً لمزيده .

لي أشقرٌ سمح العنان مغاورٌ ... يُعطيك ما يُرضيك من مجهوده .

ومُهندٌ عصبٌ إذا جرّ دتّه ... خلت البروق تموجٌ في تجريده .

ومثقفٌ لدنُّ السَّنامِ كأنَّما ... أمُّ المنايا رُكَّبت في عوده .
وبذا حَويتُ المالَ إلاَّ أنني ... سلَّطتُ جودَ يدي على تبيديه .
الأمير عليُّ بن محمد الصَّليحيُّ .
الناجمُ بالحجاز .

أنشدني أبو الفضل جعفرُ بن يحيى بن الحكَّاك المكيُّ له من قصيدة أوَّلها : .
أقول إذا باهوا بجَرِّ الذلالِ ... لباسيَ درعي لا لباسُ الغلائلِ .
ومناه : .

وسرَّجِي فِراشي والحُسامُ مُضاجعي ... وعُدَّةُ حَربي لا ذواتُ الخِلاخلِ .
ورُمحي يُعاطيني البعيدَ لأنني ... تناولتُ ما أعيأ على المتناولِ .
ولي همةٌ تَسمو على كلِّ همَّةٍ ... ولي أملٌ أعيأ على كلِّ آمَلٍ .
ولي من بني قَحطانَ أنصارَ دولةٍ ... بطاريقُ من أنجادِ كلِّ القبائلِ .
وحكى لي أبو الفضل جعفر بن يحيى الحكَّاك هذا أن أخاه الحُسين بن يحيى الحكَّاك المكيُّ
أجاب الأمير الصَّليحيَّ عن هذه اللامية بقوله : .

رُويدك ليس الحقُّ يُنفى بباطلٍ ... وليس مُجددٌ في الأُمور كهازلِ .
كزعمك أن الدرعَ لُيسُكُ في الوعى ... وذاك لجِبنِ فيك غيرَ مُزائلِ .
وهل ينفعنَّ السيفُ يوماً ضجيعه ... إذا لم يُضاجعه بيقظةٍ باسِلِ .
فهلاً اتَّخذتَ الصبرَ درِعاً وجُنَّةً ... كما الصبرَ درِعي في الخطوبِ النوازلِ .
وتفخر أن أصبحتَ مأمولَ عُصبةٍ ... فأحسنَ بمأمولٍ وأخسِسَ بآمِلِ .
وهل هي إلاَّ في تُرابٍ جمعتَه ... فهلاً غدتَ في بَدَلِ عُرفٍ ونائلِ .
كما هَمَّنا فاعلمْ إغاثةُ سائلٍ ... وإسعافُ ملهوفٍ وإغناءُ عائلِ .
وختم القصيدة بقوله فيها : .

ولا تَغترَّ بالليثِ عندَ خُدوره ... فكَمَّ خادِرٍ فاجا بوثُبةٍ صائلِ .
المُجاشعيُّ شاعرُ الحرمين